خاطرة

لا تحزن .. أبي !

بقلم : جامعة كريمة بيرزيت

اليك في منفاك

لا زلت تقبع في ذاكرتي .. ملامحك احفظها جيدا ، القامة الطويلة ، والعينين المتوقدتين ، واليد الممدودة دائما للتسليم او لتوديع جموع الناس التي كانت تؤم بيتنا يوميا ، والابتسامة العريضة على الشفتين تبشرنا بالخير دائما وكلماتك الرائعة لا زلت احفظها جيدا "بصبر خير" وكانك على علم اكيد ان الامور لا بد وان تسير في مجراها الحقيقي .

تظن انهم استطاعوا ان ينفوك من هنا ، فلا زالت الايدي التي استقبلتها يداك بالخير والحب تعرفك جيدا ، ولا زالت ابتسامتك مزروعة في كل احياء المدينة ، ولا زلت انا احفظك جيدا ، ولن تستطيع المسافات مهما كبرت ان تنفيك من عروقي .

اتدرى ، اشعر بفرح يغمرني كلما ذكر احدهم انني اشبهك أبات ليلتها وابتسامة تعلو شفتي ، فانت لا زلت هنا ، رغم انهم نفوك ، عندما امر من امامهم تنتابني رغبة غامرة بالضحك ، يا لهم من سذج ، يعتقدون انك ذهبت ولن ترجع ، لا يدرون انك مزروع في كل بقعة عملت يداك على اعمارها .

ابي العزيز .. عندما كنت طفلا ، كنت ارتعب خوفا كلما دق جرس الباب واندست يدا امي في ثيابي الداخلية لتضع فيهاكومة من الاوراق ، كان الجسد الصغير يرتعش خوفا ، ويداى لا تلبث ان تتحسس المكان الامين لتلك الادوات التي اودعت في ثنايا ثيابي . ولم اكن افهم شيئا كنت انت تقول لي ، اني سأفهم هذا يوما ما ، لكني كنت ابات ليلتها وانا قلق من ان اعجز عن الفهم في ذلك اليوم الذى تتحدث عنه . كانت رغبتي جامحة ان اكبر لكي افهم ، لماذا؟ لماذا يطاردونك ؟ لماذا ياتون في منتصف الليل بدون ان يقرعوا الباب يقتحمون ويبداون بالتنقيب؟ ولماذا انت بالتحديد يكرهونك ؟ اتذكر عندما سالتك ابي لماذا يكرهك هؤلاء الضيوف المتوحشون ؟ قلت لي انهم يخافوك . وانا سالتك لماذا؟ قلت ان الوقت لم يحن بعد لكي افهم ذلك !!

والان اصبحت افهم ، بل ادرك كل شيء ، ادرك انك كنت شوكة في حلوقهم ، وانهم حاولوا اقتلاعها ولم يفلحوا ، برغم شوقي الجارف لرؤيتك والتامل بعينيك المتوقدتين ، برغم ذلك الحنين المتوهج لصوتك القوى يدوى في اذني عاليا ، ويغدقه علي حماسا ونقة هائلتين بان الخبر لا بد وان ياتي . الا انهم فشلوا في ابعادك عني وعنا جميعا .

فلا تحزن ابى . انت هنا ولم تخرج ابدا من هنا ولا يمكن ان تفارق سرباني ..

قصة قصيرة :

ماريا .. إمرأة قلبي

بقلم : غابرييل غارسيا ماركيز

ترجمة : الدكتور أسعد الجنابي

قبل عدة اعوام رويت للمخرج السينمائي المكسيكي هايمه اومبرتو ارموسيلو حادثة واقعية من الحياة على امل ان يحولها الى فلم ، ولم يبد لي حينها انها قد اثارت اهتمامه ، ولكنه جاء بعد شهرين وبدون اى اشعار مسبق ليقول لي بانه قد انتهى من المسودة الاولى للسيناريو ، وهكذا تابعنا العمل سوية لوضع هذا السيناريو في شكله النهائي . وقبل ان نبني خصائص البطلين الرئيسيين ، اتفقنا على اسماء الممثلين اللذين سيقومان بتجسيد تلك الخصائص على افضل ما يمكن وكانا : ماريا روخو واكتور بونيليا ، لقد اعطانا ذلك فرصة الاعتماد على العمل المشترك معهما لكتابة حوار معين ، بل وحتى تركنا لهم فرصة الارتجال اثناء التصوير .

الشيء الوحيد الذى كنت قد كتبته من هذه القصة ، منذ ان رويت لي قبل سنين عديدة في برشلونة – كانت بعض ملاحظات في دفتر مدرسي ومشروع لعنوانها : "لا ، اتيت فقط لاتحدث في التلفون " ولكن عندما توجب علينا كتابة خطة السيناريو بدا لنا ان هذا العنوان لم يكن هو الافضل فاعطينا عنوانا موقتا اخر : "ماريا ، امراة حبي" واخيرا وضع هايمه اومبرتو ارموسيلو العنوان التالي : "ماريا ، امراة قلبي" والذى ارتبط بالقصة افضل ارتباط ، ليس فقط بسبب طبيعتها وانما بسبب اسلوبها ايضا . لقد تم عمل الفلم بمساهمة الجميع . الموالفون ، الممثلون والفنيون ، كلنا شاركنا من اجل انتاجه . والمبلغ المالي الوحيد الذى كان تحت تصرفنا واستخدمناه كان بضعة ملايين من البيسو العائدة لجامعة فيراكوس ، اى حوالي ثمانين الف دولار والتي هي بالنسبة لتطور السينما لم تكن تكفي شيئا ، كان الفيلم ملونا (١٦ ملم) وتم تصويره خلال ثلاثة وتسعين يوما من العمل المضني في الحالة المتفجرة لحي بورتاليس والذى هو على ما اعتقد اكثر الاحياء تعبيرا عن مدينة مكسيكو . كنت اعرف الحي وذلك لانه قبل اكثر من عشرين سنة عملت في احدى مطابعه وكنت اذهب مرة واحدة اسبوعيا على الاقل بعد انتهاء العمل مع اولئك الحرفيين المهرة وافضل الاصدقاء لنشرب حتى من المحلول الكحولي لمصابيح دكاكين هذا الحي . لقد بدا لنا انها هي الحالة الحقيقية لـ "ماريا ، امراة قلبي" سعدت حينما اصبح الفلم جاهزا وذلك لانني تاكدت باننا لم نخطئ . لقد كان ممتازا ، رقيقا وقاسيا في نفس الوقت وفي طريق الخروج من قاعة السينما احسست باني مهتز بنسيم التوق الى استعادة وضع يتعذر استرداده .

ماريا البطلة الرئيسية – كانت في الحياة الواقعية فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها ، تزوجت حديثا وزوجها يعمل موظفا في احدى المؤسسات الحكومية . بعد ظهر يوم شديد المطر وعندما

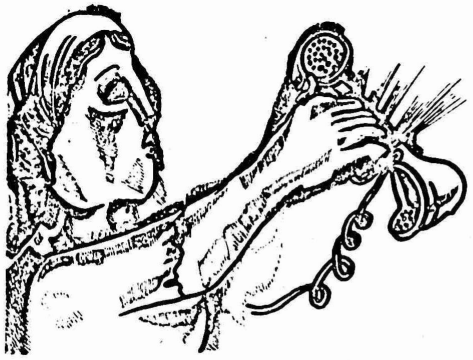

كانت مسافرة وحيدة على احدى الطرق الموحشة ، تعطلت سيارتها . وبعد ساعة من محاولاتها غير المجدية بالتلويح لوسائط النقل العابرة ، عطف عليها سائق احد الباصات . لم ينقلها الباص بعيدا ولكنه كان يكفي لماريا ان تصل الى مكان يوجد فيه تليفون حتى ترجو زوجها ان ياتي لاخذها ، لم يدر في خلد ماريا مطلقا انه في هذا الباص ، المملوء بمجموعة من النساء المختلات عقليا قد بدات ماساتها المريرة التي لا تستحقها والتي ستغير حياتها الى الابد .

عند حلول الظلام وتحت سيل المطر المنهمر دخل الباص في فناء صخرى لبناية ضخمة مظلمة امتدت وسط منتزه طبيعي ، اجبرت المراة المسؤولة عن الاخريات على النزول من الباص واصدرت لهن الاوامر وكانها موجهة الى تلميذات . ولكن جميعهن كن بالغات ، نحيلات وذاهلات تحركن بخطوات وكانهاليست من هذا العالم ، نزلت ماريا بدون ان تعير للمطر اى اهتمام ، فقد كانت مبتلة تماما . بعد ذلك عهدت المسؤولة بهن الى مجموعة اخرى من النساء آتين لاستقبالها وغادرت بنفس الباص . لم تفهم ماريا حتى تلك اللحظة ان تلك النساء هن اثنتان وثلاثون من المريضات المروضات والمنقولات من مدينة اخرى وانها في الواقع موجودة في مستشفى الامراض العقلية .

ابتعدت ماريا داخل البناية عن المجموعة وسالت احدى الموظفات عن مكان وجود تليفون ، ولكن احدى المشرفات على المريضات ، والتي كانت تقودهن ، حملتها على العودة الى الطابور مخاطبة اياها برقة "من هنا ، ايتها الحسناء ، هنا يوجد تليفون" استمرت ماريا في السير مع الاخريات في الممر المعتم ودخلن اخيرا غرفة النوم المشتركة ، حيث بدات المشرفات بتوزيع الاسرة عليهن وحددن لماريا سريرها . اوضحت ماريا لاحدى المشرفات بان سيارتها قد تعطلت في الطريق وكانت فقط بحاجة الى تليفون لتخبر زوجها بما حدث لها ، تظاهرت المشرفة بالانصات اليها باهتمام ، ولكنها قادتها مع ذلك الى سريرها وكانها تعاني في تهدئتها بكلمات رقيقة . قالت لها :

– كما تشائين ، ايتها الحسناء اذا تصرفت كما يجب فسيكون بامكانك التحدث بالتليفون مع من تشائين ولكن ليس الان ، بل غدا .

تسللت ماريا راكضة من غرفة النوم ، مدركة انها ستقع حالا في مازق مميت ، ولكن قبل ان تصل الى الباب الخارجي لحق بها حارس ضخم ممسكا بها ، بينما ساعده اثنان اخران على تقييدها بسترة المجانين . بعد ذلك بقليل وبما انها لم تكف عن الصراخ فقد قاموا بحقنها لتنويمها . في اليوم التالي وبسبب استمرارها على تصرفاتها المتمردة ، فقد نقلوها الى قسم المجانين الخطرين وقاموا بترويضها بالماء البارد المتدفق بقوة من خرطوم المياه .

اخبر زوج ماريا الشرطة باختفائها بعد منتصف الليل بقليل ، عندما تاكد له بانهالم تكن عند اى من معارفهم . وفي اليوم التالي وجدت سيارتها المهجورة . بعد اسبوعين اعلنت الشرطة ان قضية ماريا قد اغلقت وعزت الشرطة اختفائها الى خيبتها من تجربتها الزوجية القصيرة ، مما دفعها الى الهروب مع شخص اخر . واستكانت الى هذا التفسير .

لم تكن ماريا في ذلك الوقت قد تاقلمت بعد مع الحياة في المستشفى وكان سلوكها مؤذيا فما تزال ترفض اللعب في الخارج مع المريضات ، ولكن لم يجبرها احد على ذلك . وفي النهاية قال الاطباء ، هكذا يبدان ولكنهن ينتظمن في حياة مشتركة عاجلا ام اجلا . بعد حوالي ثلاثة اشهر من احتجازها ، نجحت ماريا في كسب ثقة مشرفة متطوعة ووافقت هذه الاخيرة على نقل اخبارها لزوجها .

زار ماريا زوجها في السبت التالي ، وفي قاعة الاستقبال اوضح له مدير المستشفى بكلمات مقنعة جدا كيف كانت حالة ماريا والاسلوب الذى استخدمه معها بنفسه لمساعدتها على استرداد صحتها . وحذره من الفكرة المسيطرة عليها – التليفون – وعلمه كيف يتصرف معها حتى تتخلص من ازماتها الحادة المتكررة واكد له بان كل ما يتطلبه الامر هو الامتثال لمشيئتها .

بالرغم من ان زوجها اتبع تعليمات الاطباء بدقة فقد كانت زيارته الاولى مروعة لقد ارادت ماريا ان تغادر معه باى ثمن ولقد ادى ذلك الى ضرورة تقييدها بسترة المجانين مرة اخرى والى ترويضها ، ولكنهاشيئا فشيئا اصبحت اكثر اذعانا في الزيارات اللاحقة . وبما ان زوجها تابع زيارتها كل يوم سبت حاملا لها كمية من الحلويات ، فقد قال له الاطباء بانها لم تكن افضل هدية لماريا لانها تؤدى الى السمنة ، ومنذ ذلك الحين بدا يحمل اليها وردا فقط .

كتب جديدة

كتابان ... في التاريخ

كتابان جديدان صدرا هذا الاسبوع للكاتب المصرى صلاح عيسى المحرر "بالاهالي" ، الاول "رجال مرج دابق" وهو تجربة جديدة في كتابة التاريخ العربي للفتيان ، تروى قصة الخونة الثلاثة الذين سلموا مصر والشام للغزاة العثمانيين في عام ١٥١٧ . وقد صدر عن دار الفتى العربي ببيروت .

الكتاب الثاني "هوامش المقريزى" يضم ٢٠٠ اقصوصة قصيرة من تاريخ مصر ، اختارها المؤلف من زاوية "هوامش" التي كان يكتبها يوميا على صفحات "جريدة الجمهورية" ويوقعها باسم مستعار هو "المقريزى" وقد روى في مقدمته المطولة قصة الضجيج الذى اثارته الهوامش التي كانت تتهم – إنذاك – بانها تتضمن اسقاطات تاريخية على سياسات مصر الساداتية !

إضاءة

"ومهمتنا ان نقهر كل مقاومة الراسماليين ، لا الحربية والسياسية منها وحسب ، بل ايضا الفكرية ، التي هي اشد اشكال مقاومتها عمقا وقوة ، ومهمة رجال التعليم عندنا ان يقوموا باعادة صنع الجمهور هذه . فيان ما نلحظه عنده من اهتمام ومن ميل الى العلم والى معرفة الشيوعية هو الضمانة باننا سنخرج ظافرين في هذا الميدان ايضا رغم ان هذا لن يحصل ، اغلب الظن ، بنفس السرعة ، كما على الجبهة ، رغم ان هذا سترافقه ، اغلب الظن ، مصاعب اكبر ، بل الهزائم احيانا ، ولكننا نحن الذين سنكون الظافرين في نهاية الامر ."

– لينين –